المحاضرة الثانية: البراديغم التفاعلي الرمزي:

يعد البراديغم التفاعلي الرمزي أحد أهم التصورات السوسيولوجية النظرية المعاصرة، حيث توفر أساسًا نظريًا رئيسيًا لكثير من الأبحاث التي أجراها المتخصصون في العلوم الاجتماعية التي تستهدف تفسير الظواهر والعلاقات والتغيرات التي تتعلق بموضوعها ومادتها ووظائفها في المجتمع، ويرتكز البراديغم التفاعلي الرمزي على تفاصيل ورموز الحياة اليومية وماذا تعنيه، وتعتبر واحدة من المحاور الأساسية التي تعتمد عليها النظرية الاجتماعية في تحليل الأنساق الاجتماعية،

حيث أن المبدأ الأساسي للبراديغم التفاعلي الرمزي هو أن المعنى الذي نستمده وننسبه إلى العالم من حولنا هو بناء اجتماعي ينتج عن طريق التفاعل الاجتماعي اليومي. وأن هذا التفاعل هو وقوع فعل بين فردين ومحاولة فهم هذه العملية من خلال المعاني التي يعطيها الافراد لأفعالهم تم هذا النموذج باللغة والرموز والمعاني المستخدمة التفاعلي ويستخدم مجموعه من المفاهيم كالدور والذات والفعل الاجتماعي والأنظمة الاجتماعية وبناء المعنى والتفاوض بين الافراد والجماعات المتنافسة في المجتمع لتحسين أوضاعها.

ظهرت نظرية التفاعلية الرمزية في بداية الثلاثينات من القرن العشرين علي يد العالم الأمريكي جورج هربرت ميد، حيث برز ارتباط العادات اللغوية بسلوك الناس في علم الاجتماع كطريقة لتحليل كيف يكتسب الناس تحديدات مشتركة لمعاني الأشياء بما في ذلك قواعد الحياة الاجتماعية، وذلك بالتفاعل مع الآخرين عن طريقة اللغة، أو كما يميل علماء الاجتماع إلى القول بأنه من خلال التفاعل الرمزي. ويري أن الفرد عند انتهائه من عملية التفاعل يكون صورة ذهنية أو رمز عن كل فرد تفاعل معه، وهذا الرمز قد يكون محبب أو غير محبب وبناءا على هذا الرمز يحدد طبيعة علاقته معه.

وتقوم فكرة التفاعلية الرمزية على وجود عملية التفاعل والاتصال بين الناس عن طريق اللغة، حيث تستخدم الرموز والعقل والذات والأنا كأداة علمية لمعرفة وتحليل السلوك الإنساني والظاهرة الاجتماعية، فالرموز في إطار هذه النظرية هي:

-أداة أساسية للتفاهم والاتصال بين الناس ونقل الرسائل الشفوية والمكتوبة وغير اللفظية.

-الرمزية هي شيء ما يحل مكان شيء آخر، فوجود التماثل مثلاً في مكان ما يدل على وجود هذه الشخصية أو الفكرة مع أنه غير موجود، حيث يتم التفاعل الاجتماعي الرمزي بواسطة وظيفتين هما:وظيفة الاتصال بين الناس، ووظيفة المشاركة التي تتم من خلال الاتصال.

-الرمز عبارة عن إشارة مميزة للدلالة على موضع مادي أو معنوي، ويكون لكل رمز معنى يحدد من قبل المجتمع، ويشير إلى وظيفة اجتماعية تشبع حاجة الفرد وتساعده على التفاعل مع بقية أفراد المجتمع، فمعاني الرموز ما هي إلا نتائج اجتماعية مخلوقة من المجتمع لتحديد أنماط سلوك أفراده، وتوضح عملية تفاعلهم وتكون مكتسبة.

-الرموز تتضمن معاني متفق عليها من قبل لأفراد المجتمع، تعمل على تماثلهم في نمط سلوكي معين، يستخدمونها عندما يريدون التعبير عن مضامينها.

ويمكن تلخيص فروض النظرية كما يلي:

-يعتبر المجتمع نظاما للمعاني والرموز تعد جزءا من النشاط الإنساني.

-من خلال التفاعل الرمزي بين الناس يتم بناء الحقائق والاتفاق عليها في المجتمع.

-الانطباعات التي يكونها الأفراد عن أنفسهم وعن الآخرين تعتبر بناءات شخصية للمعاني الناتجة عن التفاعل الرمزي وتمثل أهم حقائق الحياة الاجتماعي.

-يعتبر السلوك الإنساني حيال المواقف عبارة عن بناءات شخصية عن الذات وعن الآخرين في المجتمع.

-إن البشر يتصرفون تجاه الأشياء على أساس ما تعنيه تلك الأشياء لهم.

-المعاني هي نتاج التفاعل في المجتمع الإنساني، وهذه المعاني تحور وتعدل وتتداول عبر عملية فهم وتأويل يستخدمها كل فرد في تعامله مع الإشارات التي يواجهها.

يتفق علماء الاجتماع وعلماء النفس الاجتماعي على أن الاتصال لم يكن ممكنا بين البشر دون الاتفاق على معان موحدة للرموز الموجودة بالبيئة، لذلك تهتم النظرية بطبيعة اللغة والرموز في شرح عملية الاتصال في إطارها الاجتماعي، حيث تتحدد الاستجابات من خلال نظام الرموز والمعاني التي يبنيها الفرد للأشياء والأشخاص والمواقف، وبالتالي كلما اتسع إطار المعاني المشتركة، تشابهت الاستجابات نحو الأشياء والأشخاص أو المواقف المختلفة في إطار الثقافة الواحدة نتيجة إدراك الفرد للمعاني المشتركة في هذه الثقافة. تدور فكرة التفاعلية الرمزية حول مفهومين أساسيين هما ":الرموز والمعاني في ضوء صورة معينة للمجتمع المتفاعل، وتشير التفاعلية الرمزية إلى معنى الرموز على اعتبارها تتضمن القدرة التي تمتلكها الكائنات الإنسانية للتعبير عن الأفكار باستخدام الرموز في تعاملاتهم مع بعضهم البعض.

التفاعلية الرمزية ووسائل الإعلام الجديدة:

اهتم الباحثون بدراسة التفاعلية في بيئة الاعلام الرقمية منذ تسعينات القرن الماضي وأشارت معظم الدراسات الى التخلي عن مسار الاتصال الخطي احادي الاتجاه إلى المسار التفاعلي مزدوج الاتجاه والذي يتبادل فيه القائم بالاتصال والمتلقي الأدوار الاتصالية، وتعني التفاعلية مشاركة الجمهور على نحو اكبر عبر التطبيقات المتاحة على شبكة الويب، وبالتالي قدرة الجمهور على التأثير في شكل في شكل ومحتوى الاتصال على خلاف ما يحدث في وسائل الإعلام التقليدية، وهو ما يتطلب إدخال بعض التعديلات في النظريات المفسرة للتأثيرات الإعلامية عند تطبيقها في دراسات الإعلام الجديد.

وقد اهتم الباحثون في مجال دراسة تفاعلية تطبيقات الإعلام الجديد بالبحث في العوامل التي تؤثر في التفاعلية، أو المخرجات الاتصالية التي تنتج عنها وذلك من خلال آليات محددة يمكن رصدها وتقييمها لتشكل في مجملها المدخل الوظيفي في دراسة التفاعلية وتأثيراتها والتقنيات التي تحققها.

كشف الباحثون عن تعريف التفاعلية باعتباره مفهوما متعدد الأبعاد على النحو التالي:

- التفاعلية بين المستخدم والاله النظام وتعني الدرجة التي يستطيع بها المستخدم ان يؤثر في المحتوى الذي يستخدمه عبر وسيله الاتصال وهو ما يسمى تفاعليه المحتوى.

-التفاعلية بين المستخدم وغيره من المستخدمين ويطلق عليه أحيانا التفاعل الشخصي.

-التفاعلية بين المستخدم الجمهور والصحف أو الإعلامي.

وفي حين حدد ستوار (Steuer) أبعاد مفهوم التفاعلية في سرعة التفاعل، مدى التفاعل، اتجاه التفاعل، كما وضع رافايلي(Rafelli) نموذجا متدرجا للمستويات التفاعلية من الأدنى الى الأعلى على النحو التالي:

- الاتصال أحادي الاتجاه (لا تفاعلية)
- مستوى رد الفعل (أو تفاعليه محدودة)
- مستوى تبادل الأدوار (تفاعلية كبيرة)
- التشبيك والترابط بين جميع الأطراف (تفاعلية كاملة)

ونخلص مما سبق إلى وجود اتجاهين رئيسيين في تناول بحوث تفاعلية وسائل الإعلام الاجتماعي هما: الاتجاه الوظيفي الذي يتبنى مفهوم التفاعلية التي تتحقق من خلال الوسائل والآليات العملية التي يمكن توظيفها لتحقيق التفاعلية بين الانسان والوسيلة الإعلامية الذي يتبنى التفاعلية كما يدركها المستخدمون لوسائل الإعلام الاجتماعي.